

مناقشات موضوعات المؤتمر (الحادي عشر) للادباء العرب

الموضوعي ، ولا يمكن ان تكون له . ورفض وافهنا الحضاري العام لمجمل ما جاء في هذا البحث لم تشبته التجربة التاريخية التي عاشها العالم العربي منذ فترة طويلة من بداية زمن الحداثة ، واول من يعرف ذلك هو السيد السعدي وامثاله الذين يريدون منا ان تكون مجرد ادوات جامدة في مرحلة تاريخية دقيقة نعيشها جميعا ، فهو يريد لنا ان نجعل من ماضينا مستقبلا ، فنلغي الحاضر والمستقبل معا . ولكن هذا غير ممكن ، لان سبل تحولنا التاريخي لا تسمح له بذلك .

وهذا البحث دعوة لا يمكن ان تكون الا لاهوتية بالمفهوم العام ، على الصعيد الادبي والفكري ، تحاول تغطية الحقائق والابتعاد عن حرارة الصدمة التي تندفق في سائر مجالات حياتنا . ولو كان السيد السعدي مخلصا حقا لضميره لكتفى برد الفعل الذي تواجه به مثل هذه الدعوات سياسيا - اجتماعيا واقتصاديا وادبيا ، ودخل بيته وصمت .

ان ما قدمه السيد السعدي هو الايديولوجيا بعينها ، كما حددها الفكر العلمي ، المادي الجدلي التاريخي ، باعتبار انه يناقض التحليل الملموس للواقع الملموس .

فالسعدي ، وهو يتحدث بحرارة عن ضرورة الرجوع الى الماضي ، تعامل مع الموروث بعوي متخلف . فالماضي ، كما نعلم غير متجانس ، والحاضر غير متجانس ، والفكر داخل القاعة هو الآخر غير متجانس ايضا . ولكن السيد السعدي مع ذلك يحول الموروث الثقافي والابداعي العربي الى وعي متخلف ككل بفعل قراءته المتخلفة له .

يشكل النص الغائب أهمية قصوى في بحث السيد السعدي ، بحيث نستطيع ان نتيبن بوضوح جملة من الاستشهادات ، واعادة لكتابة بعض النصوص المعروفة ، فهو يجمع بين المعتزلة والفلاسفة والشعراء القدماء ثم ينتهي به المطاف الى محمد عبده ، واقبال ، واخيرا بعض التعريفات الانثروبولوجية للثقافة مع ثبت لضرورة التعامل مع جدليه هيكل التاريخي . والمسألة ليست في اثبات هذه النصوص ، بلوغم من ان جمعها له دلالة ، ولكن في الوعي الذي يعتمل في دماغ السيد السعدي عند قراءته لهذا النص الغائب . انها قراءة غير بريئة ، ولا يمكنها ان تكون الا كذلك ، ومن ثم فان حضور النص الغائب مشروط ، في بحثه ، بنمط الوعي الذي يختاره السيد السعدي كسبيل لخلاص الادب العربي المعاصر . ان الفقيه والواعظ في هذا البحث ليسا آيين من وجود نوع معين من النص الغائب ، الذي هو بالتحديد النص اللاهوتي والمثالي معا ، ولكنه بالضبط راجع الى النمطية التي صاحبت الباحث في اعادة قراءته لهذه النصوص ، مما ادى به ، بعد افراقها من اطارها الموضوعي الذي تشكلت فيه ، الى اعادة كتابتها لا على اساس الخلق ، ولكن على اساس الالقاء . فالنص الغائب مثبت وملف في آن معا ، والموجود في النهاية

تحت العنوان الرئيسي لموضوع المؤتمر « مشاكل الادب العربي المعاصر » ، عالج عدد من الادباء العرب الذين حضروا المؤتمر ممثلين اتحاداتهم المحلية الموضوعات الفرعية التالية :

أ - مشكلة القومون في الادب المعاصر (اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا)

ب - مشكلة الادب المعاصر وعلاقته بالتراث

ج - مشكلة الاشكالات الادبية المستحدثة في الادب المعاصر

د - مشكلة اللغة اعرابية في الادب المعاصر

هـ - الادب المعاصر والمستقبل .

وقد جرت مناقشة عدة موضوعات مقدمة قدم اصحابها تلخيصات لها ، بينما لم تجر مناقشة الموضوعات الاخرى التي اثبتنا نصوصها في العدد الماضي من الادب .

مناقشة محاضرة السعدي

وقد ناقش محمد بنيس « من الوفد المغربي » محاضرة محمود السعدي « خواطر حول الادب ومفهومه الفكري » (المنشورة في مكان اخر من العدد الماضي) فكان مما قاله :

انني احضر لأول مرة في مؤتمر للادباء العرب ، ولا اعرف الا القليل عن المؤتمرات السابقة مما نقلته اينا الصحف والمجلات .

استمعنا اليوم لبحث السيد السعدي ، ولا اخفي عليكم انني كنت أشعر بمرارة وحزن مزدوجين ، وانا استمع لهذا البحث ، واسجل النقط الرئيسية التي تناولها . وقد تساءلت مع نفسي طيلة فترة اللقاء : هل نحن امام الوعظ والارشاد ، ام نحن امام بحث فكري يتناول القضايا الادبية التي تشغلنا جميعا ، هل نحن امام فقيه او باحث ؟ والحقيقة اننا كنا امام صوت فقيه وواعظ لم يعد له مجال للوجود بيننا .

انني ارفض كل ما جاء به هذا البحث ، جملة وتفصيلا لسبب بسيط ، وهو ان الواقع الموضوعي الملموس الذي يشدنا اليه يرفضه . فقضية رفض هذا البحث ليست ذاتية على الاطلاق ، وانما هي استجابة لطبيعة حياتنا التي لا تتجاوب ولا يمكنها ان تتجاوب مع منطق هذا البحث .

يشدنا السيد السعدي الى الماضي ، بفكر متخلف عن هذا الماضي . وهذه الدعوة ، كما نعلم جميعا ، قديمة ، كتبت فيها مئات الكتب ، وآلاف من الدراسات التي نشرت منذ فترة طويلة ، وما تزال الى الآن . والبحث عبارة عن اعادة لظرحها بصيغة خرقاء ، لا تعتبر الشروط التاريخية التي نعيشها . انها تكلم كأنها خارج الزمن ، وخارج التاريخ .

هذه الدعوة ، وهذا المنظر الجامد ، متخلفان معا ، لانهما مرتكزان على تحليل مثالي بسيط ، ليست له القدرة على تلمس الواقع

هو قناعة السيد المسعدي مدعومة ومسورة بنصوص لم يقدر على ادراك بنيتها العميقة .

اننا هنا لسنا بصدد تحليل حديث السيد المسعدي ، لان المناسبة لا تسمح بذلك ، انما نحن ، مع ذلك ، امام تعرية وكشف عن شل هذه العموة في مرحلة تاريخية لم تعد الايديولوجيا ، كما حددناها سابقا ، تطلي علينا . ولذلك فان بحث السيد المسعدي متخلف تاريخيا ، ويستحيل تحفيقه في الواقع مستقبلا .

والمصيبة حقا هي انه يهاجم الفكر التقدمي ، مستعملا مصطلح الفكر الغربي ، وفي نفس الوقت لا يجد ما يختم به هذا البحث غير التعريفات الانثروبولوجية والهيجلية كومي مثالي قبل كل شيء ، اتى بها لمحاولة دحض الفكر التقدمي باسم الهجوم على الفكر الغربي ، اي انه يهاجم الفكر الادوي ظاهريا ، والتقدمي في العمق ، عن تنظيم الهجوم بغير الفكر الادوي الذي لا يتساهل معنا في تبنيه .

ان المسألة مفقدة ايها السادة ، ولا اريد ان اطيل عليكم ، ومع ذلك اقول ان هذه المنظومة الفكرية التي قام برصفها السيد المسعدي متصلة بما هو ابعث من الثقافة كتقافة ، ومن الادب العربي المعاصر كومي حضاري واجتماعي محدد بفترة تاريخية معينة . ان هذا البحث المقدم ليس الا صياغة غير مباشرة لاهداف سياسية واجتماعية واقتصادية ذات محتوى طبقي يروجزي متخلف تخلف هذه البرجوازية العربية . وبالتالي فهو ليس الا تعبيراً غير مباشر عن الطروحات التكتيكية والاستراتيجية لطبقة مهزومة ومنخاذلة لم يعد لها مجال لنشيت اقدامها او القيام بالدور التاريخي فيما يخص العمل على كل المضلات الطروحة على امتنا الدرية .

ولي كلمة اخيرة : احب ان اقول للسيد المسعدي ان محمد عبده ، كما كان في شبابه على الخصوص ، لو عاش في سنة ٧٧ فلربما تحدث بنفس الصوت الذي اتحدث به ، ولربما واجه هذا البحث بنفس المنظومة الفكرية التي اواجه بها ، لان ما فعله محمد عبده ، وما فعله غيره ، من بين من ذكرهم الباحث ، واجهوا ما هو معارض لجوهر الحياة . وشكرا .

وقال ابو غريبة (من الوفد الفلسطيني) انه يلتقي مع المحاضر المسعدي في مجال الفكر الديني وفي مجال فيهما ذات الاصلية والحضارة .

وتسائل احمد طريبق (من الوفد التونسي)

الى اي حد تعبر مسرحية « السد » للمسعدي عن نظريته التي ضمنها محاضراته ؟

وتعليقا على دعوة المحاضرة الى خلق عبقرية عربية جديدة ، تسائل علي مصطفى المصراي (من الوفد الليبي) كيف نساهم كادباء في صنع هذه العبقرية ، وهو ما اهمله المحاضر .

واتهم الاستاذ عبدالله الشيتي الاساذ بنيس في تعليقه على المحاضرة بانه عاج الوعظ بالوعظ والقسوة بالقسوة .

اما محمد برادة (رئيس وفد المغرب) فقد قال ان المسعدي في خطوره اعاد طرح قضايا خطيرة ، وان له ملاحظات على منهجه الذي بدأ الحديث عن الوجودية والالتزام وانتهى بالصوفية .. وان الكلام على الالتزام طرح قديم للقضية بينما الطرح الجديد لفكرة الالتزام مرتبط اساسا بالتطور المادي والاقتصادي والاجتماعي وقال ان تحديد المعاصر لماهية الادب تحديد فاصر يضيق على حرية الاديب في التعبير عن كل ما يستجد في ميدان الصراع البشري .

ولاحظ علي اومليل (من الوفد الغربي) ان الطابع العام للعرض هو جمع شتات من ادب قديم وكلام وفلسفة اسلامية وذكر لادبساء غربيين ... مع افتراض ضمنى ان هناك وحدة تجمع كل هذا الشتات ، وهو افتراض واضح التصسف لا يبرره الا ارادة صاحب العرض في كونه يسمى ليس فقط الى تكوين صورة موحدة للماضي بل ومزينة له ايضا .

واضاف ان الغائب في هذا العرض هو التاريخ وهو المجتمع كنوع وكصراع غالبا ما لا يعكسها المكتوب ، ادبا كان او فلسفه او تاريخيا . صاحب العرض يريد ان يصل الى استنتاج : وهو ان على الاديب ان يعبر عن « جوهر الانسان » - وهو المعنى الذي اعطاه للالتزام . كان هذا الانسان كائن يعبر التاريخ على الرغم من التاريخ ، قد تطرا عليه عوارض من نظام اجتماعي او سياسي ، من استعمار او هزيمة .. ولكن هذه جميعا كالفبار الذي يعلق بالتحفة مما علينا الا ان ننفضه ليعود اليها اللعنان . ينشغل الاديب بشؤون يومه ، وقد يكون له موقع في جهاز دولة تقوم على القمع ، حتى اذا ما انتهى من عمله المعاشي او الرسمي عاد الى داره واستحال اديبا يبدع ادبا يعني « بجوهر الانسان » .. ومن هنا تخلق المشكلات الوهمية التي تستعمل مفاهيم منتزعة من سياقاتها الثقافية - المجتمعي « كالتزام » ، او تفرا الماضي فراءة قوامها التسيب والتوفيق والتزيين .. وتظل المشكلات الحقيقية غائبة عن هذا الادب ما دام بحكم منظفته المنهجي لا يراها ، وهو وضع كل ادب يقوم على التغطية والتبرير .

ورد المسعدي على منتقديه ، فقال ان الفكر لا يمكن ان يخصص او يملى كما حاولوا ، وان ملتقى الادباء هو ملتقى لحرية الفكر ، موضعا ان محاضراته « جملة من الخواطر استوحيتها من تجربتي في الحياة » وقال ان المنتقدين احرار في آرائهم ، وان المهم ان يلتفت النظر بان على الادب ان يعكس ما يجب ان تستنبطه الامة العربية في طورها الجديد من قدرتها على الوجود ، وان تصيف الى حضارتها ما يجدها .

مناقشة محاضرة مروة

وكان ممن ناقش محاضرة حسين مروة « ماذا تعني مشكلة المضمون في الادب العربي » (المنشورة في مكان اخر من العدد) عماد بلحسن (من الوفد الجزائري) فتطرق الى نقطتين : اولا - تحديد مفهوم الاديب والشاعر ، بانه شخصية انسانية ، وكل شخصية انسانية هي كائن اجتماعي او هي مجموع للعلاقات الاجتماعية التي تحدها ، لذا فان الشاعر هو القدرة والشفافية على فرز وتحديد هذه العلاقات وموقعه منها وموقفه من واقعها (ويكون هذا بواسطة اللغة) . وعلى هذا فان انتماء الاديب لمجموعة او طبقة هو امر حتمي ، موضوعي ، منفصل عنه ، وذاتية الانا وخصوصيتها تتحقق من خلال الارتباط بالحركة الاجتماعية وصراعاتها وفواها الثورية ، ولذلك فان مشكلة الحتم في العملية الابداعية لا تلعب الدور المحدد ، بل هي عامل مساعد ، فاللاشعور الاجتماعي والتكوين النفسي اللاواعي للاديب او الفنان يلعب دورا ثانويا . وهذا على عكس الوعي والعقل والثقافة والرؤية العلمية التي تشكل بنية العمل الابداعي . وانتهى الى القول ان اي ادب هو ادب منحاز ملتزم ولو لم يع ذلك كاتبه ، ولكن ليس بطريقة ميكانيكية بل بطريقة تعج بالجدل والتركيب والتعقد .

واعترض نورالدين بلقاسم (من الوفد التونسي) على تفسير المحاضر للشعر بانه اما مرتبط بالمعرفة او انه عضوي . كما قال محمد برادة انه يختلف معه حول الجزء المتعلق من حديثه بالانقسام ، ذلك الذي يطله المحاضر بكون الشعراء ارتدوا الى ذواتهم وانفصلوا عن المجتمع ، في حين ان من حق اي شاعر ان تكون له لحظات فلق وشك .

واشاد احمد عبدالمعطي حجازي (الذي تلقى دعوة خاصة لحضور المؤتمر) بدراسة مروة ، قائلا ان الازمة التي يتعرض لها شعرنا المعاصر من اكبر الازمات المحورية ، لان شعرنا هو ذلك الفن الذي حصل وعي الحرية ، وان تراجع هذا الفن تعبير عن ازمة الادب العربي كله ، وازمة الانفصال بين الفردي والجماعي ليستجدية ،

ولكن سببها الاساسي اليوم تراجع التيار النفدي وفصوره .
وانقد الياس خوري (من الوفد اللبناني) منهج المحاضر في
ربط الشكل بالضمون

مناقشة محاضرتي عيد وبالرشيد

قال سمير عيادي (من الوفد التونسي) تعليقا على محاضرة
الدكتور كمال عيد « مشاكل الادب الدرامي العربي المعاصر » ومحاضرة
عبدالكريم بالرشيد « المسرح العربي يبحث عن المسرح العربي » ما يلي:
اذا ما انطلقنا من ملحوظة ان الدراما يعبر يختلف عن
التعبير الادبية الاخرى من حيث انها منصلة اساسا بدنياميكية
الحوار المباشر في اطار مساحة وتقنيات ووسائل مادية بين المعب
(وهو الممثل او الشخص اساسا ولو كان من ورائه مؤلف او مخرج
ويبين الجمهور المجتمع من حوله ادرنا ان لا ضرورة لاعتبار الجانب
الادبي النصي في الابداع المسرحي دون صلة هذا الجانب بمقومات
الحفل المادية والتقنية والفكرية .

لذلك ورغم الايمان باهمية المؤلف الدرامي من حيث انه يركز
في النص محاور البحث والاناة ويخطط منهاج التعبير ومرحلته فاننا
لا ننفي اهمية الممثل العنصر الاساسي لربط الحوار مع الجمهور .
ولا يمكن بالتالي ان نسيب عليه « فشل المؤلف » عندما يدرك ان
الطلاقة الاجتماعية والسياسية والفكرية قد تغيرت بينه وبين
الجمهور ، فيحتاج الى محاور بحث جديدة ومنهاج تعبير متطور . ويلجأ
الى تعبير شخصي يبدعه بنفسه مرتجلا احيانا ، مقترحا دائما .
لذلك نعتبر ان « موت المؤلف » يناسب مرحلة انتقال مثلما حصل
ذلك في عديد من المراحل التاريخية في اوربا القروسطية او حتى
في العصر الحديث ابان قيام هزات وثورات اجتماعية واقتصادية
وسياسية . كما حصل في مسرح « سبكانور » بالمانيا ، ويحصل الآن
عند « فروتسكي » ببولونيا .

فالمثل بصفته العنصر الانساني للفرجة والحوار المسرحيين
يحتاج الى الارتجال والى الاستغناء عن المؤلف الذي لا يواكب التطورات
لتشييد المنهج الموضوعي والفني الجديد للتعبير المسرحي .

اما البحث في المسرح الشامل فلا يمكن ان نصفه « بالهرج
والمرج » الا اذا كان الدكتور كمال عيد لا يعتبر مسرحا شاملا الا
المسرح الاستعراضى . اما المسرح الشامل الذي يعتمد التعبيرات الادبية
والموسيقية والرافضة والتشكيلية والفنائية حسب تصور جماهيري
وفي اطار الدقة الفنية والنظرة البعدية والعلاقة
الجديلة بالحوار الموضوعية المقترحة والاهتمامات المفترضة لدى
المتفرجين ، فانه صعب المراس لا محالة لكنه الطريق الموصلة الى تحطيم
التأطير والتفنين الضيقين في حيز جغرافي واجتماعي طبقي نحو
بلوغ مساحات جديدة واسعة ومحاورات جديدة مع فئات الشعب
حيثما كانوا وكلما احتاجوا الى تعبير موصل في افهم اليومي
الاجتماعي والسياسي والفني ديموقراطي المنهج دون ما كبت لرغبة
في الاستفادة بهذا التعبير الفني او ذلك .

بقي لي ان اشير الى ان مسرح اللامعقول لم يكن مصدرا لحركة
مسرحية معينة في فترة ما او باهرا للمسرح العربي عامة الا حين
توفرت او تتوفر لدى القبلين عليه من كتاب ومخرجين وممثلين
رغبة في « مواكبة » تقنيات فنية في ارضية ثقافية واجتماعية
مختلفة عن الراضية العربية او - وهذا هو الامر الاخطر - اندفاع
في المنطق السياسي الذي اتى به هذا اللون في المسرح والذي هو
منطق ردة رجعية لا تعبر عن قلق وجودي او لفوي فقط بل تحاول تحطيم
كلا الافادات والمطرحات التي اتى بها المسرح الاجتماعي والسياسي
في اطار الفكر المادي بين الحريين وكذلك في الخمسينات . وما
توفيق الحكيم الا ممثل لهذا الخطر الهادم للوعي القادم للجسد
المادي الواقعي .

وقال كمال الدين محمد (من الوفد اليمني) ما يلي :

أخذ اولا على الاستاذ عيد استخدامه لمصطلح المسرح الشامل
معبرا عن الحالة او الظاهرة المسرحية الهذيانية التي سود في بعض
افطارنا العربية في الفترة الراهنة وهي عبارة عن مومات
مسرحية استعراضية وتجارية ، فالمسرح الشامل كما سبق ان اوضح
الاخوة المناهشون مفهوم مسرحي وتجربة متعارف عليها كاستفادة من كافة
الفنون : الموسيقى والرقص والغناء الى آخر .

والماخذ الثاني انني اخذه على الاستاذ كمال عيد هو تركيزه
على التجربة المسرحية عند توفيق الحكيم ممثلة بمسرحية « يا طالع
النسج » ، و « انعام لكل فم » كمثال للاشكال المستحدثة في المسرح
العربي واغفاله لتجارب مسرحية رائدة وتعبير بالفعل عن حداثة في
الاستخدام للشكل المسرحي المعاصر ومن هذه التجارب : تجربة الاستفادة
من المسرح الملحمي البريختي وكمثال عليها اخراج سعد اردش لمسرحية
بريخت « دائرة الطباشير الفوقازية » ، وكذلك تقديم المخرج اللبناني
« الخوري » لمسرحية « جحا في القرى الامامية » وهي استلهام
مسرحية بريخت « شفيك في الحرب العالمية الثانية » .

كذلك هناك محاولات لتحطيم الحائط الرابع في المسرح ولتنكسر
البنية المعمارية الايطالية التي وجدت منذ مارون النفاش في ١٨٢٧ م
وتشوه النهضة المسرحية العربية الاولى ، وهذه المحاولات نجد من
امثلتها مسرحية سعدالله ونوس « حفلة سمر من اجل ه حزيان » .

اما بالنسبة لبحث الاستاذ عبدالكريم بالرشيد فانه يعدم وجود
نظرية مسرحية عربية ، بينما ارى ان ثمة نظريات عدة مسرحية
وهي في تصارع مستمر وكل منها تعبر عن اتجاه فكر عام بل وفئات
وطبقات اجتماعية . .

ان النظرية اذا لم تكن موجودة فعلا فنتها في سيرورتها الآن
نحو التشكل والتبلور على يد مسرحيين ونقاد كبار . فنحن لا
نتكسر دور نعمان عاشور مثلا في ايجاد هذه النظرية مع تقاسد
تقدميين كمحمود امين العالم ورجاء النقاش وغالي شكري وهم الذين
ارسوا اسس التيار الاجتماعي في المسرح العربي والذين مهدوا
الطريق لاسماء مسرحية شابة كمحمود دياب والفريد فرج ويوسف ادريس
وعزبز محمد وسعدالله ونوس وغيرهم . .

ان النظرية موجودة وتبررها احتياجات مجتمعنا العربي
واحتياجات العصر .

اما بالنسبة لوقف الاستاذ بالرشيد من الاتجاهات اللامعقولة
والعشبية التي ظهرت وخاصة في اواخر الخمسينات فاجدني اتفق
معه في رفضها بل واقول انها اثبتت افلاسها ، وللأسف ادرنا
ذلك في وقت متأخر شيئا وبعد ان حرفت لفترة طويلة من مسار
ادبنا الحقيقي . واضع هنا مثالا على هذا الافلاس : ابتعاد كاتب
عبي كاداموف واتجاهه للتعبير عن قضايا الانسانية الحقيقية الطبقية
ويجلى ذلك في مسرحيته الاخيرة « سياسة الفضلات » .

وقال مصطفى فاسي (من الوفد الجزائري) :

جاء في محاضرة الاستاذ كمال عيد ما معناه لا نتج كثيرا المسرحية
التي تستخدم العربية الفصحى .

وانا من ناحيتي اتساءل فقط : ما هو النجاح الذي يعنيه
الاستاذ المحاضر ؟

اذا كان الاستاذ كمال يعني النجاح المحلي الذي تساله المسرحية
نظرا للمفردات والعبارات المحلية التي تستخدمها فنحن متفقون معه
في نجاحها لاستخدامها العامية .

ولكن هل يعتبر هذا نجاحا حقا ؟

اعتقد بان نجاح المسرحية او فشلها يجب ان يقوم على مستوى
العالم العربي ، وعلى الكاتب العربي ان يعتبر نفسه كاتباً عربياً
ومسؤول عن تطور او انحطاط اللغة العربية .

والآن امامنا اختياران يجب ان نختار احدهما عن ترو وتفكير
وعن تجرد من كل مؤثر عاطفي .
1 - هل علينا ان نأخذ بأيدي المحرومين من نور التعليم فنثقفهم
ونرفع من مستواهم لخير البلاد وذلك بتبليغهم ما نود تبليغه باللهجة
العامية ؟
2 - ام هل يجوز لنا - تحت تأثير الحملة ضد اللهجة العامية -
ان نضحي بهؤلاء المحرومين فنتركهم يكملون ايامهم في حياتهم
الهامشية ، فلا يشاركون في شرف معركة التنمية ، وبذلك يكونون
عالة فظيمة الثقل على مجتمعاتهم ؟
هذان السؤالان يجدر ان يحيرا كل اديب متحرر من كابوس
الشعارات البراقة وان يختار (مختاراً حراً) ان يجيب عليها
اما انا فقد اجبت: «نعم» مؤكدة على السؤال الاول، و « بلا »
مؤكدة كذلك على السؤال الثاني .

ومما قاله نورالدين بلقاسم (من تونس) في الموضوع نفسه :

طرحته في المناقشات قضية الفصحى والعامية في البلاد العربية،
وهذا الموضوع اعتقد انه حساس لانه لا يتصل باللغة كأداة فحسب
وانما يتصل باللغة كفكر وحضارة وسلوك . فنحن ان فقدنا لغتنا
العربية - وهذا لن يكون - فاننا نفقد انفسنا ، لانها هي كياننا
والجبل المتين الجامع بيننا .

وقد سمي الاستعمار الى اثاره مسألة العاميات وذلك طوعا في
ان تؤول العربية الى ما آلت اليه اللاتينية . فكما هو معروف تقسمت
هذه اللغة الى لهجات آلت فيما بعد الى لغات مستقلة، وتذكر
منها الفرنسية والايطالية . فاللهجات العامية ليست لغات لانها
على مستوى القطر الواحد غير مفهومة بين اهل الاقاليم المختلفة .

واذا كان القطر الواحد لا يستطيع اهله الابلاغ فيما بينهم بواسطة
اللهجات ، فكيف يستطيع العرب التفاهم بهذا الخليط المشوش
الذي لا يحصى من الدارجات . فمثلا كلمة دجاجة تختلف من حيث
النطق في اللهجات بين قطر واخر . قالجيم فيها يتبدل ابدالاً
غريبة . ففي تونس تنطق (دجاجة) ، وفي الجزائر (دجاجة)، وفي
مصر (دكاكه) ، وفيما بين النهرين (تشاتشه) ، وفي شمال
الجزيرة العربية (دياديه) .

فالدارجات تختلف الاصوات فيها اختلافا شديدا من حيث
النطق والتفليظ والتدقيق والجوهر والهمس والنغمية . ولعل ما
يبعد الدارجات عن ان تكون لغة ابلاغ بين الناس هو انها
مختلفة ، واختلافها يرفضها من الاساس .

ولكن لسائل الحق ان يسأل ما هو الحل للمشكل اللغوي
القائم والذي لا ينكره الباحث الرصين .

كما كان الاولون يملكونها على حد تعبير طه حسين .
وعلى هذا الاساس لنا حق الزيادة فيها ، وحذف ما نراه مستهجن
ووحشي لا يتماشى مع اللوق المعاصر . فلغتنا عجبتنا . نشكلها
كما نشاء وهي بنا تتقدم لا بنفسها ، والذين يحاولون ان يحملوا
العربية الورد هم كالذي يشتري كساء ضيقا فيعمد هذا الشاري
الى لوم الكساء على ضيق وينسى ان الخياط والفصال هما السبب
في ذلك .

واعتقد انه من المهائل التي تنضم الى حصيلة مهازلنا ان يقول
بعضنا بان العربية ليست بلغة علم . ان هذا القائل اما عاجز
او عميل او من قبيل الذين لا يعملون ويسوؤهم ان يعمل الآخرون .
فالعربية الميتة منذ آلاف السنين احيائها اليهود وطوروها وهم
يدرسون بها الان العلوم والفنون .

والصينية ذات الحروف الابجدية الكثيرة والغريبة في اشكالها هي
لغة العلم والتكنولوجيا عند الصينيين .

وتعليقا على محاضرة احمد الشرفي « مشكلة اللغة العربية في
الادب المعاصر » قال عبدالله الشيتي (مدير مجلة « النهضة » الكويتية)
بان المحاضرة مكثفة وانها في جوانب اساسية منها بدت كما لو
انها عناوين كبيرة لقضايا عديدة ، فكرية وثقافية واجتماعية
متفرقة وهي تمس واقع اللغة العربية واللهجات العامية ، وما آل
اليه ، من قريب او بعيد .

وعارض الشيتي دعوة بعض المعقبين الى الكتابة بالعامية .
وهاجم الداعين اليها او المدافعين عنها ، لان العامية تعيش ومعا
بذرة موتها . وان الفصحى هي الجسر .. جسر التفاهم ، والتلاحم
العربي المصري المتد بين امة العرب من محيطهم الى خليجهم ، كما
هاجم الشعوبيين والداعين الى (فرجة) هذه اللغة واحلال (الحروف)
اللاتينية محلها ، كدعوة سعيد عقل النطق من منطق شعوبي حافد
على العربية الفصحى ، اذ ان اللغة هي احدى مقومات نشوء الامة
العربية بل المقوم الاساسي وهي اناء التراث والحضارة الكبير وفي الوقت
نفسه هاجم النوق (القاموسي) في الكتابة الى الناس .

ودعا كتاب السينما والمسرح والتلفزيون الى اعتماد الفصحى
المهذبة المبسطة لتحل محل العامية المتدنية الشارعية التي نفسد
النوق والجمال والاحساس الحقيقي .

كما اشد بمواقف بعض المغاربة في الغيرة على اللغة العربية
حيث المعاناة هناك من اثر الاستعمار الفرنسي الذي ترك ثقافته والتاثر
بالفرنسية امرا واضحا .

كما طالب الشيتي بضرورة اعداد معلمي المدارس والمعاهد
واساتذة اللغة العربية اعدادا جيدا ، لان الكثيرين منهم ، وهم
مسؤولون عن تنشئة الجيل ولغته وتراثه ، محتاجون اصلا الى من
يعلمهم اللغة العربية حتى يتقنوا تدريسها !

اما احمد اللفماني (من الوفد التونسي) فقد قال :

« انا موافق تماما على التخطيط لتطوير اللغة العربية وتيسير
قواعدها لتصير حقا لغة الحياة العامة فضلا عن كونها لغة
الادب والثقافة .

بيد اني ارى وجها واحدا لا تستطيع الفصحى ان تكون فيه (اللغة
الوسيلة » واعني مشكلة تثقيف الاميين وتوعيتهم عن طريق الكتابة
الادبية .

لا اشك مطلقا في ان السواد الاعظم من الاميين يفهمون منها
« مجملا » نشرات الاخبار في الاذاعة والمادة الاخبارية في الصحف
(اذا قرئت لهم) ولكنني على اكمال يقين (وقد عشت التجربة في مهمتي
بالاذاعة) ان اي اثر ادبي (مسرحية ، قصيدة ، مقالة الخ ..) لا
يكون لها الا مفعول ضئيل جدا في نفوس الاميين اذا لم اقل ان
مفعولها منعدم تماما .

وان الامة العربية في كل اقطارها خائضة معركة التنمية الشاملة
وهذه المعركة لا يمكن كسبها الا اذا جند لها الشعب كله ، واكثر
من نصف شعبنا امي .

والنجاعة تقضي الا تكون التوعية بالمقالة المباشرة وبالخطبة
الرنانة ، بل بالانث الفني والادبي الذي يكون ظاهره امتاما وباطنه
تثقيف وتوعية . فكيف يمكن ان تحقق هذه النجاعة في تجنيد الاميين
في معركة التنمية اذا لم نكتب لهم « ادبا » (يسمع في الاذاعة
ويرى في التلفزة) في لهجتهم العامية التي بها يعبرون عن آمالهم
والامهم ، وبها ينطقون ما يعرك وجدانهم ، ويدخل عقولهم .

ان هذا لا يعني اننا نحل اللهجة العامية محلا رسميا في
الكتابة ولكن الحل المقترح هنا وقتسي ريشا يأتي يوم نتمنى الا
يكون بعيدا تكون فيه اللغة الفصحى لغة العلم ولغة الفن والادب
عند جميع افراد الشعب

ان لغتنا هي بنا .

وإذا صح منا العزم فان كل شيء يسير . والمشكّل ينحصر في ان اللغة العربية هي لغة المتعلمين والمتعلمين ، وبما ان الأمة العربية ما يزال سبعون بالمائة منها تقريباً يعانون الأمية ، وبما ان هؤلاء الأميين لهم الحق في ان يفهموا السياسة والاقتصاد والاجتماع حتى يشاركوا في البناء والتنمية - بما ان هذه الاشكالات كلها تطرح نفسها علينا بالحاح فإني اعتبر ان العمل الاسرع والانفع والاكثر موضوعية يتمثل فيما يلي :

١ - تقوم لجان من العلماء المختصين في اللغة العربية طسى مستوى الإقطار بعملية مسح للكلمات العربية الفصحى المستعملة على السنة الناس والتي جرت مجرى العافية . ثم تجمع هذه الالفاظ في معاجم بحسب المواضيع . فيكون معجم الفلاحة ، ومعجم التجارة ، ومعجم الصناعة ، ومعجم النبات ، ومعجم الحيوان الى آخره ...

على ان يركز هذا العمل على الريف والبادية لابتعاذهما من المدن، ولسلامة لغة الناس فيهما من التآثر باللغات الاجنبية .

٢ - بعد ان تتم كل لجنة - على المستوى القطري هذا العمل تجتمع اللجنة العلمية العامة التي هي مجموعة اللجان القطرية، وذلك لمراجعة المفردات واقرارها على اساس الاستعمال وموافقها لقواعد اللغة العربية النحوية منها والصرفية .

٣ - اذا وجدت لغات في هذه المعاجم بعد اتمام العمل السابق يمكن الاتجاه وقتها الى النحت او الى التريب او ادخال كلمات مستعملة على السنة العامة بعد ان تجعلها موافقة لقواعد العربية النحوية والصرفية .

وهذه الثورة على الواقع اللغوي مرهونة بشرطين هاميين :

١ - المبادرة السياسية التي تضمن تمويل هذا المشروع وتحميه طيلة عشر سنوات على اقل تقدير .

ب - ان يتعهد القائلون عليه والقائلون به بان يتركوا التردد والتعبير عن النوايا الحسنة دون الفعل ، ويتعاشوا الانتكاس ، وان يتجهوا مباشرة الى العمل .

اننا بهذا نتحصل على النتائج التالية :

١ - اخراج اللغة العربية من الحصار المضروب عليها ، وذلك بجعلها لغة الشارع والمعاملات اليومية ، لان اللغة استعمال ، وكل لغة لا تستعمل هي لغة سائرة للموت .

٢ - قطع الطريق على الاستعمار المالي والقوى الداخلية المساندة له ، الساعية الى بناء اسوار نهائية حول الشعوب العربية ، وذلك بقطع الصلة اللغوية بينها .

٣ - بما سبق يمكن للعربية ان تخرج من روتين الجامع العربية وبطئها وتخلفها عن حركة التاريخ فليس من المعقول ان تخلق مئات المفردات كل يوم للصناعات والاختراعات الجديدة في العالم المتقدم، بينما المجمع العربي بالقاهرة مثلا حصيلته من المفردات التي اُسر استعمالها حوالي عشرين الف كلمة في مدة اربعين سنة تقريباً . فمجامعنا العلمية محافظة الى حد البالغة .

ان العربية لغتنا ، وليست مقنعة ، انما هي لنا ولنا حق التصرف فيها لاننا نملكها .

حول فكرة المعاصرة

وقال ابراهيم المعجوني (من الوفد الاردني) حول موضوعات المعاصرة الطروحة في المؤتمر ما يلي :

اني لاري غموضاً واضطراباً كبيرين في مفهوم المعاصرة ، كما هو

باد في الآراء الطروحة ، يقفان دون تحديد وتوضيح هذا المفهوم في الاذهان .

ويأتي بعد ذلك تداخل هذا المفهوم مع مفهوم الحضارة ، مسبباً يشوش الرؤية ، يزيد الامر غموضاً وعماء ..

والذي اراه ان هناك فروقاً جوهرية بين هذين المفهومين ، وان نغفلوا الى الفد خطوة واحدة ، دون ان نلتفت اليها على اقل تقدير .. فان اكون معاصراً معناه ان اكون في العصر ، او ان اميش فيه، او ان اترامن معه ..

اما الحضارة فامر مغاير تماماً ، وهي ان اوجد في العصر لا ان اكون فقط ، ان احيا فيه لا ان اميش وحسب ، ان اصنع زمناً خاصاً متميزاً ، لا ان تستهلكني ايام زمنية متوالية ..

اما كيف يمكن ان تكون مستقبليين ، فهو سؤال تال لسؤال آخر هو « كيف نستطيع ان نحيا يومنا الراهن بكامل الفاعلية وكامل الحرية ؟ »

ان الادب كما تلمون ايها الاخوة افرع على الحياة ، وان تبثت فيه سماتها بجمال وقوة ، وهو بتعبير آخر ظل للحياة ، فهبل يستقيم ظل شيء معوج ، كما يتسائل سعيد مهران في راحة نجيب محفوظ اللص والكلاب ؟

ان لنا ايها الاخوة ان نرسم المستقبل كما نريد ، الا اننا مطالبون اولاً بالانصراف الى الواقع الراهن ، والا فسنكون قد بدنا عصر الهروب الى المستقبل ، بعد ان جثم على صدرنا زمناً طويلاً عصر الهروب الى الماضي ..

مناقشة محاضره فراج

وعلق رشاد ابو شاور (من الوفد الفلسطيني) على محاضرة عفيف فراج « الرواية العربية الحديثة تنادي الحرية السياسية » فاتهمها بالقصور عن استيعاب الموضوع ، واخذ على الكاتب انه وضع على مستوى واحد روايتي « ام سعد » لفسان كنفاني و « المحاصرون » ليفصل حوراني ، وانه كان انشائياً في دراسته .

وقال روكسبن زائد العززي (من الوفد الاردني) ان تيسير سبول انما انتحر بسبب العمى الذي اصابه ، وليس بسبب القمع الذي اشار اليه المحاضر .

ولكن سالم نحاس (من الوفد الاردني ايضا) رد على ملاحظة العززي فاكد ان سبول انما انتحر لسبب سياسي .. وأشار الياس خوري بان البحث محاولة جدية تقوم اهميتها على التركيز على مسألة القمع ، وهي مسألة مركزية بالنسبة للفكر العربي عاصم .

واخذ عبدالله الشبيتي على الباحث انه اهمل الروائيين المصريين في محاضره .

ورد عفيف فراج على هذه التعليقات بقوله :

احب اولاً ان الفت الى ان غياب النص المطبوع عن عيون الزملاء، ادى الى مداخلات نقدية تنهم الدراسة بالنقص لانها لم تتناول اعمال روائية اخرى هامة . والحقيقة ان الاعمال التي ذكرها بعض الزملاء كأمثلة لا تندرج ضمن موضوع هذه الدراسة الذي اعيدته على مسامعكم مجدداً وهو « الرواية العربية الحديثة تنادي الحرية السياسية »

واختيار موضوع الدراسة حق للدارس لا ينازعه فيه منازع. وهذا الاختيار هو الذي حدد لي خياراتي في تناول الاعمال الروائية التي عرضت لها هذه الدراسة ، دون ان يعني ذلك الانتقاص من الاعمال الروائية التي بقيت خارج اطارها والصادرة في هذا الاقليم العربي او ذلك .

ورأى اننا اذا بدأنا من :

(عيلن) في التفعيلة الثانية وكتبنا التفعيلات على شكل (دائري) وواصلنا القراءة الى (مفا) من نفس التفعيلة ، تحصلنا على بحر (البسيط) وهو هكذا : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن (مرتين) كذلك اذا بدأنا من (لن) في التفعيلة الاولى وواصلنا القراءة على شكل دائري تحصلنا على بحر (المديد) وهو هكذا : فاعلتن فاعلن فاعلتن (فاعلن) (مرتين) واصلنا (فاعلن) الاخيرة لكي تتم « الدائرة » وقال ان العرب لم يستعملوه الا « مجزوء » اي بحذف (فاعلن) الاخيرة ، قايهما الاصل ما كتب عليه العرب شعرهم ام ما استقامت به « الدائرة العروضية » ؟! طبعاً الاصل هو ما كتب عليه العرب شعرهم ولا فائدة في هذه الدوائر التي عقدت علم العروض بشيء ليس منه ولا قيمة له في النخبة الشعرية بل جعلت الخليل - او من جاء بعده من العروضيين - يقولون في جميع البحور تقريباً : ان اصله كذا واستعمل منه هو كذا والحقيقة ان « الاصل » هو ما جاء عليه شعر العرب لا ما اضيف لاستقامة (الدائرة) .

لقد عرف عند العرب وزن كتب عليه الشعراء شعرهم مثل قول عمرو بن كلثوم :

الا هبي بصحنك فاصبحينا

وزنه الخليل فرأى انه يساوي :

(مفاعلتن مفاعلتن فعولن) (مرتين) وسماه « الوافر » لكنه عندما أراد ان يدير هذه التفعيلات في إحدى الدوائر وجد انه يدور مع « الكامل » في دائرة واحدة ولا يتم ذلك الا بابدال (فعولن) (بمفاعلتن) فقال ان اصل الوافر :

(مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) (مرتين) ويجب حذف سبب خفيف (أي متحرك وساكن) من آخره واسكان ما قبلهما ، فهل اذا وجدنا شاعراً او عروضياً قد كتب بيتاً على ذلك الوزن نقول ان هذا الوزن قد أهمله العرب ويمكن استغلاله واجاؤه لتطويع الشعر العربي واثراء موسيقاه ، ان « الفرضيات العروضية » التي تولد من هذه الدوائر كثيرة لكنها مجرد فرضية ميتة ليس فيها اي موسيقى .. فاين ماثور النغم الشعري الذي يكسبها التوقيع وهل وجد شعر حديث يعزز هذا الوزن ؟!

قد تقول : ان النماذج التي نقلتها هي التي تكسبها هذه « الموسيقى » ولكني اقول ان « الجوازات » التي تقع في البحور القديمة « جوازات » وجدت تلقائياً ، وهذه البحور يحددها العروضيون احتذاء اعمى فيأتون بجميع التحركات والسكنات حسب الوزن المستخرج من الدائرة فيبقى جامداً ، ونحن نعرف ان مسن الجوازات او الزخافات ما هو احدى في السمع من البحر التام ، الا ترى انه يحسن كثيراً حذف « السين » من « مستفعلن » في (الخفيف) ولو ابقيتها في كثير من الاحيان لاختل الوزن ، فمن يدري في هذه « البحور المهملة » انه يحسن حذف كذا او يجوز حذف كذا او اذا حذف كذا من هذا البحر لا يجوز حذف كذا منه كما هو معروف في « التعاقب والتراقب » وشرح ذلك يطول . لو اخذنا امر العروض كما يؤخذ « الحساب » لا اعتبرنا ان « الوافر » هو : (مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن) لكن الشعراء لا يتجاوبون معه ولا يجدون فيه اي نغم .

على اني لا اظن من هذه العملية التي قام بها السيد الباحث موقف المعارض ابقاء على البحور القديمة دون غيرها فانا بودي ان توجد بحور اخرى جديدة الى جانب القديمة لكنني افضل ان يترك امرها لاجتهاد الشاعر .

بشان ملاحظة الاستاذ « ابو شاور » التي يقول فيها انني ارجع في نفس السياق رواية « المحاصرون » مع رواية « ام سعد » ويفصل حوراني مع غسان كنفاني ، ارد بان ورود اسم الروائيين في سياق واحد لا يعني مطلقاً اني اضعهما على سوية فنية ، وانما يعني بالتحديد تلاقيهما في نقطة تماس مضموني تتصل بصلب موضوع هذه الدراسة .

اما محكمة الاستاذ ابو شاور لرواية فيصل حوراني من زاوية ترويجها الى وجهة نظر سياسية تدعو الى قبول الفلسطينيين بجزء من ارض فلسطين ، فهي وجهة نظر حزبية وسياسية لا شأن لي بها . وليس هما نقدياً بالنسبة لي الى اي جبهة فلسطينية ينتمي هذا الاديب وعن وجهة نظر اية جبهة يعبر . فهذا منطلق يدخل في اطار التصنيف الحزبي وليس الادبي . اما بالنسبة لقول الاستاذ ابو شاور ان رواية حنا مينه « الشمس في يوم غائم » هي عمل انشائي ، وان الهم في اعمال « مينه » يتوقف عند « الشراع والعاصفة » فهذه وجهة نظر ذاتية نترك لتاريخ الادب والتقسيد الموضوعي الحكم فيها .

وعن قوله انني قدمت دراسة يلقب عليها الطابع الانشائي فان ما يسميه الاستاذ ابو شاور « انشائي » هو منتزع من صلب الاعمال الروائية وان كان غياب النص مطبوعاً عن عينيه يجعله لا يتبين ما بين المزودجين ويبدو انه يخلط بين الانشائية والجمالية الادبية التعبيرية كما يتضح من تعامله على رواية « الشمس في يوم غائم » لانشائيتها .

بشان ملاحظة الاستاذ « روكس » عن « تيسير سبول » الذي انتحى كما يقول « ليس بسبب القمع وانما بسبب العمى السذي اصابه » فان هذا التبرير يذكركني بذلك التفصيل الذي نشره الستالينيون حول انتحار « ماياكوفسكي » حين زعموا انه انتحى لاسباب فرامية ! ان اقل ما يقال في مثل هذا الاسلوب ، هو انه يحاول ان يغطي السماوات بالقنوط !

حول ملاحظة الزميل الثالث الذي جاء في مداخلته انني لم اتناول من مصر بالدراسة سوى نجيب محفوظ . فلا ادري اذا كان الزميل يدري ان يوسف ادريس ، وصنع الله ابراهيم ، وصلاح حافظ ، وامين العيوبي ، وجمال غيطاتي ومحمود دياب .. هم مصريون !

مناقشة بحث هلال ناجي

وقال نورالدين حمود (من الوفاة التونسية) في مناقشة بحث هلال ناجي « الانتفاع من تراثنا العروضي لتجديد شعرنا المعاصر » مايلي :

ركز الاستاذ هلال ناجي بحثه على « البحور المهملة » المستخرجة من الدوائر العروضية او « الدوائر الخليلية » التي حصرت فيها جميع البحور .

لقد نعت البحور القديمة من انفس الشعراء القدماء وانبثقت انغامها من حالاتهم النفسية اثناء الغناء والانشاد، لكن البحور التي يمكن استخراجها من الدوائر ميتة لم يكتب عليها احد من « الشعراء » وما الاستشهادات التي قدمها السيد الباحث الا نماذج مفتعلة من وضع بعض العروضيين لم يشج على متوالها الشعراء .

لقد كان الخليل بن احمد « حسابياً » في وضع هذه الدوائر اكثر مما كان « موسيقياً » اذ انه رأى ان بحر الطويل يتكون من كمية صوتية قيمتها : فعولن مفاعلتن فعولن مفاعلتن (مرتين)